المحاضرة الرابعة: مناهج البحث في علم النفس

من إعداد: د. شافية بن حفيظ

تمهيد: يعتبر المنهج وسيلة عمل وطريقة للتفكير في الوقت ذاته يتبعه الباحث وفق خطوات محددة قصد الوصول إلى حقائق علمية متعلقة بموضوع ما، ونظرا لتعدد المشكلات تختلف طرائق ومناهج دراستها وتبعا لذلك تختلف خطواتها وتقنياتها تبعا للهدف وطبيعة الظاهرة المدروسة ، ولعل بعض المناهج أكثر شيوعا وانتشارا لسهولتها مقارنة بغيرها، مع إمكانية المزج بين عدة مناهج وهو ما يسمى بالتصميم المختلط والمهم أن يكون الباحث قادرا على انتقاء المناهج الأكثر مناسبة لموضوع بحثه مع التمكن من تنفيذه ميدانيا وهذا يتطلب دراية بمختلف المناهج وأهدافها.

1- خطوات المنهج العلمي: لكل علم مناهج بحث والبحوث النفسية كغيرها من العلوم تتبع عدة طرق لأجل استخلاص نتائجها وبغض النظر عن المنهج المستخدم تتبع عموما القواعد العامة للمنهج العلمي وفي هذا السياق وفيما يلي خطوات المنهج العلمي:

- **تحديد موضوع البحث:** يقوم الباحث في هذه المرحلة بتحديد موضوع بحثه، أو تحديد الظاهرة التي يريد دراستها فمثلا إذا أردنا دراسة ظاهرة التكيف الدراسي لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة فعلينا أن نحدد الجوانب المتصلة بهذه الظاهرة مثل التفاعل الصفي، نسبة الذكاء، كفاءة المدرسين، دور الأسرة.....

- **تحديد إشكالية موضوع البحث:** حيث يطرح الباحث التساؤل الرئيسي لموضوع البحث وصياغة الأسئلة الفرعية إن أمكن.

- **تحديد فروض البحث:** تعيين إجابات مؤقتة لتساؤلات الدراسة والتي ستتأكد أو تنفى مع ظهور نتائج البحث.

- **تحديد عينة البحث:** يحدد الباحث المجتمع الأصلي الذي يدرسه ومن ثمة يقوم باختيار مجموعة من الأفراد يمثلون هذا المجتمع لإجراء الدراسة عليهم وهناك عدة طرق للمعاينة أو اختيار العينة.

- **أدوات البحث:** يمكن القول أن هذه المرحلة هي مرحلة اختلاف المناهج حيث يستعين الباحث عند القيام بدراسته بمجموعة من الأدوات البحثية تختلف باختلاف المنهج المتبع وعلى العموم يتم الاعتماد

على: استمارات أو اختبارات أو الملاحظة لجمع معطيات الدراسة، أو التجربة، وكذا بعض التقنيات الإحصائية لتجميع وتحليل هذه المعطيات.

– **الوصول إلى نتائج:** بعد تطبيق أدوات جمع المعطيات وتجميع وتحليل هذه المعطيات يصل الباحث إلى نتائج يتم عرضها ومناقشتها ومن ثم يصدر حكم قبول الفروض البحثية أو رفضها.

– **تفسير النتائج:** على الباحث تفسير أو تبرير النتائج التي تحصل عليها وذلك من خلال شرح أو تحليل أكثر عمقا للعوامل المرتبطة بهذه النتائج ومقارنتها بنتائج بحوث سابقة على نفس الظاهرة.

2– مناهج البحث في علم النفس: تتعدد المناهج المستخدمة لدراسة الظاهرة النفسية ومن أهم هذه المناهج: المنهج الوصفي، والمنهج التجريبي، والمنهج الإكلينيكي (العيادي):

2–1–المنهج الوصفي: يلعب الوصف دورا أساسيا في المعرفة فهو وصف الظاهرة، ويهتم الوصف أساسا بالوحدات أو الشروط أو العلاقات الموجودة بالفعل ويشمل كذلك كيفية عمل الظاهرة. والمنهج الوصفي بحث تقرير في جوهره ومهمة الباحث أن يصف الوضع الذي توجد عليه الظاهرة أي كما هي أو موضوع الدراسة في الوقت الحاضر أي في فترة إجراء الدراسة.

وعلى الرغم من أن الوصف هو أبسط أهداف العلم إلا أنه الأساس الذي لا بد منه كي ينتقل العلم إلى أهداف أعلى، والمهمة الجوهرية للوصف هي أن يتم فهم الظاهرة على النحو الدقيق أو على النحو الأفضل، وقد ابتكر العلماء النفسانيون والتربويون طرقا أفضل لجمع البيانات والتي يمكنها أن تصف بدقة الجوانب المختلفة للظواهر أو الموضوعات البحثية المتنوعة، ومن هذه الأدوات: الملاحظة، والاستبيان، والمقابلة، والاختبارات والمقاييس. وبهذا أصبحت البحوث الوصفية تزود المعرفة بحقائق هائلة جزئية وتفصيلية.

2–1–1–تعريف المنهج الوصفي: مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلا كافيا ودقيقا لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل الدراسة.

وعلى الرغم من أن الوصف الدقيق والمتكامل هو الهدف الأساسي للبحوث الوصفية إلا أنها كثيرا ما تتعدى الوصف إلى التفسير وذلك في حدود الإجراءات المنهجية المتبعة وقدرة الباحث على التفسير والاستدلال.

2–1–2–أنواع البحوث الوصفية:

– **الدراسات المسحية:** محاولة بحثية منظمة لتقرير وتحليل ووصف الوضع الراهن لموضوع أو ظاهرة أو نظام أو جماعة، بهدف الوصول إلى معلومات واقعية ودقيقة والمسح ينصب على الوقت الحاضر إلى وقت إجراء الدراسة العلمية، ويتصف هذا النوع من الدراسات بالسعة والشمول، فعادة يتناول المسح عدداً كبيراً من الحالات بهدف تحديد الواقع وتشخيصه ووصفه وتقويمه مستعيناً في ذلك بالإحصاءات والبيانات التي يحاول هذا النوع من الدراسات جمعها وتصنيفها وتحليلها.

– **دراسات العلاقات المتبادلة:** يقصد ببحث العلاقات المتبادلة ذلك النوع من البحوث الذي يهتم بدراسة العلاقات بين جزئيات الظاهرة المدروسة من خلال البيانات التي تم جمعها، بغية الوصول إلى فهم عميق لهذه الظاهرة كما يعني بحث العلاقات المتبادلة بأنه " ذلك البحث الذي يهتم بدراسة العلاقات بين الظواهر، وتحليلها، والتعمق فيها، لمعرفة الارتباطات الداخلية في هذه الظواهر، والارتباطات الخارجية بينها وبين الظواهر الأخرى".

– **الدراسات المقارنة:** وهي الدراسات التي تقارن أوجه التشابه والاختلاف بين الظواهر لكي تكشف العوامل والظروف التي تبدو أنها تصاحب أحداثا وعمليات وممارسات معينة وهي تحاول أن تنظر بغية تأكيد ما إذا كانت هذه العلاقة قد تسبب أو تسهم أو تكمن وراء الحالة الصحية.

– **دراسة الحالة:** وهي تمثل دراسة حالة نوعاً ما فردية، ودراسة الحالة تشبه الدراسات المسحية إلاّ أنه يوجد اختلاف بينهما من حيث أنه في الدراسة المسحية تجميع البيانات يتم من عدد كبير من الأفراد، بينما في دراسة الحالة يقوم الباحث بدراسة مستفيضة لعدد محدود من الحالات المختلفة، كما إن دراسة الحالة ذات طبيعة كيفية أكثر من الدراسة المسحية ونحصل عن طريقها على بيانات ومعلومات على درجة كبيرة من الأهمية والتي قد لا نستطيع التوصل إليها عن طريق الدراسات المسحية، مثل دراسة عوامل تزايد البطالة بين الشباب وسبل خفضها.

– **الدراسات الارتباطية:** تُستخدم الدراسات الارتباطية لتحديد إلى أي حد تتفق التغيرات في عامل معين مع التغيرات في عامل آخر، وأيضاً التعرف على حجم ونوع العلاقات القائمة بين المتغيرات، وقد ترتبط المتغيرات مع بعضها البعض ارتباطاً تاماً أو ارتباطاً جزئياً موجباً أو سالباً، مثل الكفاءة البدنية وعلاقتها بأداء بعض مهارات كرة السلة لدى الطالبات.

الدراسات التطورية: تتناول الدراسات التطورية الوضع القائم للظاهرات والعلاقات المتداخلة بينها، وكذلك التغيرات التي تحدث نتيجة لمرور الزمن، فهي تصف المتغيرات خلال مراحل تطورها في فترة زمنية معينة، وتشمل هذه الدراسة دراسات النمو الاجتماعي أو النفسي أو الحركي أو الجسمي أو العقلي، وتشمل هذه الدراسة نوعين هما:

الدراسات الطولية: ويقصد بها مراقبة الظاهرة على مجموعة معينة من الأفراد خلال فترة زمنية محددة أي تتبع هؤلاء الأفراد من حيث التغيرات التي تطرأ عليهم خلال هذه الفترة الزمنية.

الدراسات المستعرضة: ويقصد بها اختيار أشخاص بأعمار مختلفة وتطبيق الظاهرة نفسها عليهم ومراقبتها للتوصل إلى النتائج أي المقارنة بين هؤلاء الأشخاص في نفس الفترة الزمنية.

2-2-المنهج التجريبي: هو المنهج الذي يشمل الملاحظة والتجربة، وهو الذي نبدأ فيه من جزئيات أو مبادئ غير يقينية تماما ونسير حتى نصل إلى قضايا عامة، لاجئين في كل خطوة إلى التجربة كي اضمن لنا صحة الاستنتاج وهو منهج العلوم الطبيعية على وجه الخصوص.

2-2-1-تعريف المنهج التجريبي:

ويعرف كذلك أنه عدد من الخطوات المنظمة التي ينتهجها الباحث للتحقق من صحة الفروض التي وضعها لدراسة ظاهرة ما بشكل موضوعي ودقيق، والتنبؤ بما تسفر عنه التجربة من نتائج تفسر الظاهرة بعد ضبط المتغيرات التي تؤثر في سير التجربة.

ويعرف التجريب بأنه ملاحظة الظواهر بعد تعديلها تعديلا كثيرا أو قليلا؛ بمعنى أن التجربة تمثل تحكما في الظروف والشروط عن طريق الظروف المصطنعة، فهي إذن عملية استقصاء علمي تتم فيه الملاحظة وتجميع البيانات على أساس مجموعة محددة من المحكات وعلى هذا فإن التجربة تتميز بـ:

المعالجة Manipulation: ويعني التغيير الذي يحدثه الباحث على عدد من أفراد العينة بدراسة تأثير العامل التجريبي (المستقل) على الظاهرة المدروسة (العامل التابع) وأيضا العوامل الدخيلة.

الضبط والتحكم: ويعني تثبيت بعض الخصائص المتعلقة بالموقف البحثي والتي قد تظهر أثناء دراسة العلاقة بين المتغير التجريبي والمتغير التابع.

العشوائية: والمقصود بها هنا تعيين أفراد العينة في المجموعة التجريبية أو الضابطة بشكل عشوائي؛ أي أن كل وحدات المجتمع الأصلي للبحث تكون لها نفس الحظوظ في إمكانية اختيارها ضمن المجموعتين (التجريبية أو الضابطة)، ولا يكون الاختيار انتقائيا أو مقصودا.

2-2-2- أنواع التجارب:

- وفقا لمكان إجراء التجربة:

تجارب مخبرية أو معملية: وهي تجارب تقام داخل المخابر وهي مخطط لها، ويمكن للباحث فيها أن يضبط ويثبت العوامل المؤثرة غير المتغير المستقل، وتتميز بالدقة، كما تمكن الباحث من تكرار التجربة أكثر من مرة للتأكد من صدق النتائج.

تجارب غير مخبرية: تتم في ظروف طبيعية خارج المخبر.

- وفقا للزمن الذي تحتاجه التجربة:

تجارب تتم في فترة زمنية قصيرة.

تجارب تتم في فترة زمنية طويلة.

- **وفقا لقدرة التجربة على ضبط المتغيرات كما ونوعا:** يمكن النظر إلى هذا النوع من التجارب التي تعتمد غلى التصميمات التجريبية من حيث قدرتها غلى ضبط المتغيرات كما ونوعا ومن هذه التصاميم:

تصميم قبلي وبعدي لمجموعة واحدة: في هذا التصميم تكون فيه مجموعة واحدة يؤخذ القياس قبل وبعد إدخال المتغير المستقل؛ أي يطبق الاختبار وتؤخذ القياسات قبل التعرض للمتغير المستقل ثم يطبق نفس الاختبار وتؤخذ القياسات بعد التعرض للمتغير المستقل، ثم تتم المقارنة بين القياسات القبلية والبعدية.

تصميم المجموعات غير المتكافئة: اختيار مجموعتين (تجريبية وضابطة) بطريقة غير عشوائية، ثم تطبيق الاختبار على المجموعتين وأخذ القياسات قبل تعريض المجموعة التجريبية للمتغير المستقل (قياس قبلي)، ثم يطبق نفس الاختبار على المجموعتين (التجريبية والضابطة) بعد أن تتعرض المجموعة التجريبية للمتغير المستقل وأخذ قياسات المجموعتين (قياس بعدي).

مجموعة التصاميم التجريبية الحقيقية: تتميز هذه المجموعة من التصاميم بقدرة عالية على ضبط العوامل المؤثرة في الصدق وأنها تتطلب الاختيار العشوائي لأفراد العينة من المجموعتين التجريبية والضابطة، وفي هذه المجموعة يتم دراسة جماعتين في الوقت نفسه، ويجب أن تكونا متشابهتين ومتكافئتين ثم يقوم الباحث باستخدام العامل التجريبي على جماعة واحدة فقط ثم يقارن المجموعتين للتعرف على التغير الذي يكون قد حدث على المجموعة التجريبية، وهذا النوع من التصاميم من الصعب جدا تطبيقه في الدراسات النفسية خاصة والاجتماعية عامة لاستحالة تكافؤ مجموعتين من الناس ولذلك يتم الاعتماد كلية على التصاميم شبه التجريبية.

عيوب المنهج التجريبي:

- صعوبة الحصول على التعاون الكامل من أفراد العينة الخاضعة للمعالجة التجريبية.

– صعوبة حصر جميع المتغيرات المؤثرة في الظاهرة المدروسة وصعوبة الضبط التجريبي (سواء كانت الظاهرة نفسية أو اجتماعية أو تربوية).

– البحث التجريبي يحتاج إلى باحث متمرس ومهارات وخبرات عالية المستوى من الناحية العلمية والعملية، إضافة إلى الموضوعية.

2-3- المنهج الاكلينيكي (العيادي):

يستخدم هذا المنهج في تشخيص وعلاج من يعانون اضطرابات نفسية أو انحرافات خلقية أو مشكلات دراسية ممن يفدون إلى العيادات النفسية، وهو يستخدم وسائل عديدة لجمع البيانات اللزمة لتحقيق أغراضه، منها دراسة تاريخ الحالة – أي الشخص المريض، ويكون ذلك بجمع أكبر قدر من المعلومات عن تاريخه الصحي والعائلي والدراسي والمهني والاجتماعي والتي يمكن أن تفيد في تفسير اضطرابه....وذلك بسؤال الشخص نفسه أو أفراد أسرته وأصدقائه...هذا بالإضافة إلى مقابلة شخصية مع المختص النفسي أو الطبيب النفسي بالعيادة أين يتاح له التحدث عن مشاكله ومتاعبه، وكثيرا ما تجرى عليه اختبارات سيكولوجية(نفسية) لقياس ذكائه أو بعض قدراته الخاصة وسمات شخصيته.

(راجح، 2009، ص54)

وأصبح هذا المنهج وسيلة جيدة للبحث النفسي لدراسة طبيعة السلوك والشخصية وصراعاتها ومحاولة فهم الصراع وعوامله والأسباب الكامنة وراءه. ويعرف المنهج الإكلينيكي بأنه: منهج يقوم على الدراسة المتعمقة للحالات المرضية التي تعاني من سوء التوافق والاضطرابات الانفعالية والنفسية والاجتماعية في الطفولة والمراهقة والرشد والشيخوخة ويهتم أيضا بحالات التوافق المدرسي ومشكلات التعلم والتوافق المهني.

2-3-1-خصائص المنهج الإكلينيكي:

– **جمع معلومات عن الحالة:** عن طريق الملاحظة، الفحص الطبي، الاختبارات النفسية.

– **تشخيص الحالة:** تحديد مواطن القوة والضعف.

– **تفسير الحالة:** تفيد المعلومات المحصل عليها في مساعدة الباحث على الاستكشاف من خلال خبراته ومعارفه السابقة.

– **اختبار الفرضيات:** يقوم الباحث بتطبيق تصميمه العلاجي على الحالة وفي نهاية الفترة المحددة لهذا التطبيق يصل إلى قبول الفروض التي وضعها أو ينفيها.

- **تحديد النتائج.**

- **وضع البرنامج العلاجي:** أي وضع الفرضيات التي يعتقد بأنها تزوده بحلول لمشكلة الحالة.

2-3-2- فنيات المنهج الإكلينيكي:

يقصد بها أهم الأدوات التي يعتمد المنهج الإكلينيكي في جمع المعطيات حوا الحالة، ومنها:

- **المقابلة:** وهي حوار وحديث بين الباحث (الفاحص) والمفحوص، يوجه في الباحث أسئلة معينة لجمع البيانات حول الموضوع الذي يبحث فيه.

- **الملاحظة:** تفيد في جمع البيانات تتصل بالسلوك الآني للفرد المبحوث.

- **الاختبارات والمقاييس النفسية:** من أدوات قياس الشخصية ومن أمثلتها اختبارات الذكاء، والاختبارات الإسقاطية....